

تفسير أبي السعود

إبراهيم 46 العذاب العاجل إلى حلول العذاب الآجل فترتدعوا عما كنتم فيه من الكفر والمعاصي أو بينا لكم أنكم مثلهم في الكفر واستحقاق العذاب والجمل الثلاث في موقع الحال من ضمير أقسمتم أي أقسمتم بالخلود والحال أنكم سكنتم في مساكن المهلكين بظلمهم وتبين لك فعلنا العجيب بهم ونبهنا كم على جلية الحال بضرب الأمثال وقوله D وقد مكروا مكروهم حال من الضمير الأول في فعلنا بهم أو من الثاني أو منهما جميعا وإنما قدم عليه قوله تعالى وضرينا لكم الأمثال لشدة ارتباطه بما قبله أي فعلنا بهم ما فعلنا والحال أنهم قد مكروا في إبطال الحق وتقرير الباطل مكروهم العظيم الذي استفرغوا في عمله المجهود وجاوزوا فيه كل حد معهود بحيث لا يقدر عليه غيرهم فالمراد بيان تناهيهم في استحقاق ما فعل بهم أو قد مكروا مكروهم المذكور في ترتيب مبادئ البقاء ومدافعة أسباب الزوال فالمقصود إظهار عجزهم واضمحلال قدرتهم وحقارتها عند قدرة ا تعالی وعند ا مكروهم أي جزاء مكروهم الذي فعلوه على أن المكر مضاف إلى فاعله أو أخذه تعالی بهم على أنه مضاف إلى مفعوله وتسميته مكرًا لكونه بمقابلة مكروهم وجودًا وذكرًا أو لكونه في صورة المكر في الإتيان من حيث لا يشعرون وعلى التقديرين فالمراد به ما أفاده قوله D كيف فعلنا بهم لا أنه وعيد مستأنف والجملة حال من الضمير في مكروا أي مكروا مكروهم وعند ا جزؤه أو ما هو أعظم منه والمقصود بيان فساد رأيهم حيث باشروا فعلا مع تحقق ما يوجب تركه وإن كان مكروهم في العظم والشدة لتزول منه الجبال أي وإن كان مكروهم في غاية المتانة والشدة وعبر عن ذلك بكونه مسوى ومعدا لإزالة الجبال عن مقارها لكونه مثلا في ذلك والجملة المصدرية بأن الوصلية معطوفة على جملة مقدره والمعنى وعند ا جزاء مكروهم أو المكر الذي يحيق بهم إن لم يكن مكروهم لتزول منه الجبال وإن كان الخ وقد حذف ذلك حذفًا مطردًا لدلالة المذكور عليه دلالة واضحة فإن الشيء إذا تحقق عند وجود المانع القوي فلأن يتحقق عند عدمه أولى وعلى هذه النكتة يدور ما في إن الوصلية من التأكيد المعنوي والجوب محذوف دل عليه ما سبق وهو قوله تعالی وعند ا مكروهم وقيل إن نافية واللام لتأكيدها كما في قوله تعالی وما كان ا ليعذبهم وينصره وقراءة ابن مسعود B وما كان مكروهم فالجملة حينئذ حال من الضمير في مكروا لا من قوله تعالی وعند ا مكروهم أي مكروا مكروهم والحال أن مكروهم لم يكن لتزول منه الجبال على أنها عبارة عن آيات ا تعالی وشرائعه ومعجزاته الظاهرة على أيدي الرسل السالفة عليهم السلام التي هي بمنزلة الجبال الراسيات في الرسوخ وأما كونها عبارة عن أمر النبي A وأمر القرآن العظيم كما قيل فلا مجال له إذا لماكرون هم المهلكون لا

الساكنون في مساكنهم من المخاطبين وإن خص الخطاب بالمنذرين وقيل هي مخففة من إن والمعنى إنه كان مكرهم ليزول منه ما هو كالجيل في الثبات مما ذكر من الآيات والشرائع والمعجزات والجملة كما هي حال من ضمير مكروا أي مكروا مكرهم المعهود وإن الشأن كان مكرهم لإزالة الآيات والشرائع على معنى أنه لم يكن يصح أن يكون منهم مكر كذلك وكان شأن الآيات والشرائع مانعا من مباشرة المكر